المصطلح النقدي

أ.د. علي عبد الرزاق حمود السامرائي
كلية التربية ابن رشد – جامعة بغداد

عرفت العربية المصطلح منذ أقدم العصور ، وقد دوّن لنا الشعر الجاهلي مصطلحات كثيرة كانت مستعملة[١] ، ثم جاء الإسلام وزادت المصطلحات واتسعت مساحتها بما جدده الدين الإسلامي وأضافه من ألفاظ أخذت مدلولات جديدة ثم استقرت مفاهيم لها رموزها اللغوية التي تعبّر عنها ، قال ابن فارس : "فلما جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال ، ونسخت ديانات وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر ، بزيادات زيدت وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت"[٢] .

وقد بذل العرب جهوداً كبيرة في وضع المصطلحات ولاسيما بعد الإسلام، بسبب التقدم الحضاري والتلاقح الثقافي وتطور الحياة ، فنقلت ألفاظ كثيرة من معانيها اللغوية إلى معاني جديدة .

ويشير الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) إلى أن المتكلمين أول من وضع المصطلحات حيث يقول : (هم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني ، وهم أشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء ، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم ، فصاروا في ذلك سلفاً لكل خلف وقدوة لكل تابع)[٣] .

واستمر العرب في السير باتجاه وضع المصطلحات ، مسايرة للحياة وللتقدم الفكري ، وقد كان طريقهم ناجحاً في ذلك ، إلا أن هذا الحال لم يدم بل توقف بسبب ما تعرض إليه العرب من فترات مظلمة دامت قروناً بفعل الأطماع الإستعمارية ، وباتقشاع هذا الظلام استئنفت الحركة العلمية ، وكان دور المؤسسات والمجامع اللغوية كبيراً في هذا المضمار ، فأخذت هذه المؤسسات

تعقد الندوات والأبحاث في سبيل الوصل إلى حل أمثل لمشكلة المصطلحات . وقد قام مكتب تنسيق التعريب بالرباط بعقد ندوة (توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة) للمدة ١٨-٢٠ شباط ١٩٨١م اشترك فيها ممثلو المجامع اللغوية العربية والمراكز اللسانية ووزارات التربية والتعليم في الوطن العربي . وأقرت الندوة المبادئ الآتية[٤] :

١ - ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي .

٢ - وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد .

٣ - تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد ، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك .

٤ - استقراء وأحياء التراث العربي وخاصة ما استعمل منه أو ما أستقر من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث وما ورد فيه من ألفاظ معربة .

٥ - مسايرة المنهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية .

٦ - استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقاً للترتيب الآتي : التراث فالتوليد (بما فيه من مجاز وأشتقاق وتعريب ونحت) .

٧ - تفضيل الكلمات العربية الفصيحة المتواثرة على الكلمات المعربة .

٨ - تجنب الكلمات العامية إلا عند الاقتضاء بشرط أن تكون مشتركة بين لهجات عربية عديدة وأن يشار إلى عاميتها بأن توضع بين قوسين مثلاً.

٩ - تفضيل الصيغة الجزلة الواضحة وتجنب النافر والمحظور من الألفاظ.

١٠- تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على التي لا تسمح به .

١١- تفضيل الكلمة المفردة لأنها تساعد على تسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة والتثنية والجمع .

١٢- تفضيل الكلمة الدقيقة على الكلمة العامة أو المبهمة ، ومراعاة اتفاق المصطلح العربي من المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي ، دون تقيد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأجنبي .

١٣- في حالة المترادفات أو القريبة من الترادف تفضل اللفظة التي يوحي جذرها بالمفهوم الأصلي بصفة أوضح .

١٤- تفضيل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة إلا إذا ألتبس معنى المصطلح العلمي بالمعنى الشائع المتداول لتلك الكلمة .

١٥- عند وجود ألفاظ مترادفة أو متقاربة في مدلولها تنبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحدة منها ، وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها .

١٦- مراعاة ما اتفق المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بهم .

١٧- التعريب عند الحاجة وخاصة المصطلحات ذات الصيغة العالمية كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني أو أسماء العلماء المستعملة مصطلحات ، أو العناصر والمركبات الكيمياوية .

١٨- عند تعريب الألفاظ الأجنبية يراعي ما يأتي :

أ - ترجيح ما سهل نطقه في رسم الألفاظ المعربة .

ب - التغيير في شكله ، حتى يصبح موافقاً للصيغة العربية ومستساغاً.

ج - اعتبار المصطلح المعرب عربياً ، يخضع لقواعد اللغة .

د - تصويب الكلمات العربية التي حرفتها اللغات الأجنبية .

هـ - ضبط المصطلحات عامة والمعربة منها خاصة بالشكل حرصاً على صحة نطقه .

وإلى جانب ذلك عنيت المجامع العلمية بالمصطلحات وكان لمجمع دمشق ومجمع القاهرة فضل كبير . وكان المجمع العلمي العراقي مهتماً بالمصطلحات ، وقد بذل جهداً كبيراً في وضع المصطلحات بتأليفه لجاناً لوضع المصطلحات لما يرد من الكتب المقرر ترجمتها منذ عام ١٩٤٨م . وأصدر كثيراً من المطبوعات التي تضم المصطلحات المختلفة نشرها في مجلته . ووضع بعض القواعد العامة التي يستند عليها في وضع المصطلح ، وهي قواعد لا تخرج عما وضعته اللجنة المكلفة في ندوة وضع المصطلحات في مكتب تنسيق التعريب بالرباط في شباط ١٩٨١م[٥] .

حدود المصطلح :

يُدرس المصطلح ضمن نطاق المصطلحية أو علم المصطلح وهو (العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها)[٦] . ومن دون استقرار المصطلحات لا يمكن لأي علم أن يستقر لأن المصطلحات أداة مهمة من أدوات التفكير العلمي .

والاصطلاح هو لفظ موضوعي . يتواضع علم المختصون بقصد أدائه معنى معيناً . بدقة ووضوح بحيث لا يقع أي لبس في ذهن القارئ أو السامع لسياق النص[٧] . إذن المصطلح كلمة تنتقل من معناها اللغوي العام إلى معنى لغوي خاص لتدل على معنى جديد بوجود قرينة تحددها شريطة توافر الوضوح والإبانة وعدم اللبس والغموض . وعلى ذلك تكون المصطلحات (كلمات محددة تحديداً دقيقاً ، يعبر بوساطتها كل علم عن المفاهيم المفيدة له .. وهي كلمات اكتسبت في نطاق تصورات نظرية معينة ، دلالات ومعاني حرمت بموجبها من حق الانزياح الدلالي المباح للكلمات العادية تفادياً لكل إضطراب تواصلي محتمل)[٨] .

والمصطلح النقدي جزء من المصطلح العام فهو أداة التفكير النقدي ، وبه تُعرف دقة الأحكام النقدية ولا يمكن أن يستقر النقد الأدبي ما لم تستقر مصطلحاته وتوضع في مواضعها الصحيحة . لذلك نجد أهتمام العرب بالمصطلحات منذ القدم فوضعوا لها معاجم مصطلحية أهمها :

١ - مفاتيح العلوم ، لمحمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ) .

٢ - للتعريفات ، لعلي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) .

٣ - الكليات ، لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) .

٤ - كشاف اصطلاحات الفنون أو موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية ، لمحمد بن علي الفاروقي التهانوي . من أعلام القرن الثاني عشر الهجري.

هذه أهم المعاجم الاصطلاحية التي وضعها العرب وهي تشمل على اصطلاحات العلوم المختلفة .

وكان لأهتمام المعاصرين أثر في إنشاء المعاجم المصطلحية تفادياً لأزمة المصطلح ، ومن تلك المعاجم :

١ - معجم مصطلحات الأدب : مجدي وهبة . مكتبة لبنان – بيروت ١٩٧٤م.

٢ - معجم البلاغة العربية . د. بدوي طبانة ١٩٧٥ م .

٣ - معجم مصطلحات النقد الحديث . حمادي حمود ، حوليات الجامعة التونسية ع١٥ ١٩٧٧م .

٤ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ، بيروت ١٩٧٩م .

٥ - المعجم الأدبي ، جبور عبد النور ، دار العلم .

٦ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، د. أحمد مطلوب ٨٣ ، ١٩٨٤، مط المجمع العلمي العراقي .

٧ - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، د. سعيد علوش ، الدار البيضاء، ١٩٨٤.

٨ - معجم المصطلحات اللغوية والأدبية ، علية عزت عياد ، دار المريخ ، السعودية ١٩٨٤ .

٩ - معجم مصطلحات العروض والقوانين ، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٨٦ .

١٠ - معجم المصطلحات الأدبية ، ابراهيم فتحي ، ١٩٨٦ .

١١ - المصطلحات الأدبية الحديثة ، دراسة ومعجم ، د. محمد عناني ، مكتبة لبنان ١٩٩٦ .

١٢ - دليل الناقد الأدبي ، إضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقدياً ، د. ميجان الرويلي ، د. سعد البازعي ، الدار البيضاء - بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٠م .

وإلى جانب هذه المعاجم فقد درست المصطلحات دراسات كثيرة وكان لمعهد الدراسات المصطلحية في كلية الآداب بجامعة محمد بن عبد الله اليد الطولي في دراسة المصطلح النقدي . فكانت دراسة الدكتور الشاهد البوشيخي مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ" رسالة ماجستير تقدم بها الباحث عام ١٩٧٢ . تم رسالته للدكتوراه "مصطلحات النقد لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين - قضايا ونماذج" ١٩٩٣ . وكذلك رسالة الدكتور أدريس الناقوري "المصطلح النقدي في نقد الشعر" عام ١٩٨٤ .

وأخذ المعهد متمثلاً برئيس المعهد الدكتور الشاهد البوشيخي على عاتقه السير قدماً من دراسة المصطلحات والأشراف على أطاريح كثيرة بين الدبلوم والماجستير والدكتوراه وهي جهود مباركة .

وفي العراق حصلت نهضة مصطلحية ابتدأها الدكتور أحمد مطلوب في كتابه (مصطلحات بلاغية) الذي صدر أول مرة عام ١٩٧٢ م ، ثم أتبعه بمعجم المصطلحات البلاغية الذي صدر بين الأعوام ١٩٨٣ و ١٩٨٧ بأجزائه الثلاث. ثم معجم النقد العربي القديم بجزأيه الذي صدر في عام ١٩٨٩ .

ودرس باحثون عراقيون المصطلح النقدي بدراسات جامعية ، كدراسة خير الله السعداني "مصطلحات نقدية أصولها وتطورها إلى نهاية القرن السابع للهجرة"[٩] ، ودراسة محمود بن محمد علي "الفحولة مصطلح في نقد الشعر حتى نهاية القرن الخامس للهجرة"[١٠]ودراسة إبراهيم محمد محمود الحمداني "المصطلح النقدي في كتاب العمدة"[١١] ودراسة سندس محسن العبودي "مصطلحات السرقة الأدبية في التراث النقدي العربي إلى نهاية القرن السابع الهجري ، النشأة والتطور"[١٢] ودراسة أمير عبد الله حسن "المصطلح النقدي والأدبي عند الأصمعي"[١٣] ودراسة هاني إبراهيم عاشور العامري "تطور المصطلح النقدي حتى نهاية القرن الثالث الهجري"[١٤]ودراسة إبراهيم محمد محمود "المصطلح النقدي في كتب الإعجاز القرآني حتى نهاية القرن السابع الهجري"[١٥] ودراسة كوثر محمد أحمد "أثر البيئة في المصطلح النقدي والأدبي عند العرب"[١٦] .

ولم تقف دراسة المصطلح عند ذلك فحتى الآن دراسات المصطلح ما تزال قائمة لأن المصطلح بحاجة إلى دراسات تعزز موقفه بوعي منهجي يجعل لكل مصطلح بطاقة تعريف تزيل اللبس والأشكال . وقد سعت تلك الدراسات التي أشرنا إليها إلى ترسيخ المصطلحات في التراث العربي والكشف عن مفاهيمها من خلال إطراد استعمالها الاصطلاحي ، متخذة مناهج متعددة قامت على التاريخ

أحياناً والوصف والتاريخ أحياناً أخرى ، متبعة التقسيم المعجمي باعتماد بداية المصطلح حيناً والتقسيم إلى سلالات وعوائل حيناً آخر .

حتى الآن قد تكون مشكلة المصطلح النقدي العربي القديم قد هانت بعض الشيء وقُطع بها شوطاً كبيراً ، ولكن بقيت مشكلة كبرى تتمثل في المصطلح النقدي الحديث ، الذي شكل أزمة علمية كبيرة ، وأن كان قد حظي بدراسات وجهود قليلة[١٧] ، وهذه المشكلة في حصول تزايد في الاصطلاحات ، ولاسيما غير العربية منها بسبب التقدم العلمي الهائل إلى جانب الاصطلاحات الموروثة والتي تنطوي على مفاهيم غامضة . ومما لاشك فيه أن النقد الأدبي لغة مصطلحات ومفاهيم تستعمل لتحليل الأدب وتفسيره ، ومنعم النظر في لغة النقد الحديث – مصطلحات ومفاهيم – يجدها تنطوي على نوعين منها :

١ – مصطلحات نقدية درجت على ألسن النقاد القدامى .

٢ – مصطلحات مستوردة من اللغات الأجنبية .

والأشكالية تكمن في عدم الاتفاق على تسمية المصطلحات المستوردة – أن جاز لنا التعبير – إذ أننا نعاني حتى الآن من عدم الاتفاق على تسمية موحدة فلا نكاد نجد رمزاً لغوياً متفقاً عليه للأسلوبية[١٨] مثلاً (Linguistique) أو اللسانية أو الألسنية ، أو فقه اللغة أو .... وكذلك الحال مع الشعرية[١٩] (Poe'tics) أو البويطيقا وكذلك التفكيك (Deconstruction) أو التشريح أو التقويض ، ومصطلح السيمياء (Se'miology) أو علم العلامة أو علم الإشارة.... وغيرها. وكذلك مصطلح البنيوية (structuralisme) أو البنوية ، أو الهيكلية ... ، والأمثلة على هذا الاختلاف لا تحصى .

إذن لابد من إيجاد استقرار للمصطلحات استقرار يحقق ثباتاً في استعمال رمز لغوي واحد للدلالة على مفهوم واحد ، ليتم بموجبه توجيه البحوث توجيهاً إيجابياً ، لأن أي خلط في المفاهيم يؤدي إلى خلط في المصطلحات ثم إلى تشويش النقد الذي يؤدي إلى تشويش الفكر ، لأن النقد الأدبي جزء من الفكر ،

فلابد من تثبيت المصطلح النقدي والاتفاق على مفهوم محدد لكل مصطلح ومعرفة البنية الحركية للمصطلح ، من أين ومن أين أتى وفي أي علم نشأ ، لأن دارسي النقد الأدبي العربي الحديث والمعنيين به قد سئموا هذه الفوضى وهلّوا هذه الارباكات المصطلحية . صحيح أن هناك صعوبات تكتنف هذا العمل ، إذ أن عملية التعريب أو الترجمة ، قد يتبناها أفراد وهي بذلك توسم بوسم الجهد الفردي وما يتبعه من عدم استقرار وقصور فضلاً عن اختلاف البيئة التي نشأ فيها المصطلح بين لغة وأخرى ؛ لأن أغلب المصطلحات النقدية الحديثة مأخوذة أو مستوحاة من حضارات أدبية مختلفة ومن لغات أخرى كالإنكليزية والألمانية والأمريكية والفرنسية والروسية وغيرها . فلابد من لغة مشتركة بين المهتمين بالنقد الأدبي تقوم على جمع الحد الأعلى للمصطلحات المتداولة ثم إيجاد مفاهيم محددة لها . حقاً سعت بعض الدراسات المصطلحية[٢٠] إلى ذلك ولكن ما زالت الأشكالية قائمة والأزمة في ثورتها ، ويمكن حلها – كما يرى د. أحمد مطلوب – في وضع معجم نقدي حديث ، وذلك يتم بخطوات هي[٢١] :

أولاً – رصد المصطلحات النقدية العربية والوقوف على دلالتها وتغيرها في العهود المختلفة ، والأخذ بما ينفع في النقد الأدبي الحديث ... ويتم رصد المصطلحات النقدية في عدة مظان ، منها :

١ – كتب البلاغة والنقد .

٢ – كتب العروض القديمة والحديثة .

٣ – كتب الأدب القديم المعتبرة في اللغة العربية فصاحة وبلاغة وبياناً.

٤ – كتب اللغة المختلفة وأهمها المعاجم .

٥ – كتب التفسير وعلوم القرآن .

٦ – كتب الفلاسفة المسلمين .

٧ – كتب المصطلحات .

وفي هذه الكتب كثير من المصطلحات البلاغية والنقدية والعروضية. ويراد من هذه المظان ما يأتي :

أ - تدوين المصطلحات التي لا تزال شائعة في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة .

ب- الاستعانة بها في وضع المصطلحات الجديدة لما لم يوضع لها مصطلح ، أو وُضع له مصطلح ولم يَشُعْ ، أو لم يتفق عليه الأدباء والنقاد والباحثون .

ج - نقل المصطلحات القديمة عند الضرورة من معانيها القديمة إلى المعاني الجديدة بطريقة التوليد .

ثانياً - جرد اهم الكتب الأدبية والنقدية الحديثة واستخلاص المصطلحات النقدية التي استُعملت في هذا القرن ، والاتفاق على مصطلح دقيق للدلالة على المعنى الجديد .

ثالثاً - جرد أهم كتب مصطلحات الأدب والنقد الحديثة والمعاصرة .

رابعاً - جرد أهم كتب الفلسفة ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع ، والفنون ، واستخلاص المصطلحات التي تتصل بالنقد الأدبي أو تعين عليه ، وهذه الكتب مهمة بعد أن أصبحت المعارف الإنسانية متداخلة ، وأصبح الأدب يعتمد على الفنون التشكيلية ، ويقيس من علم النفس ، وعلم الاجتماع، والفلسفة ، بعض أصوله ونظرياته .

خامساً- جرد أهم كتب اللسانيات لما بينها وبين الأدب ونقده من وشائج وصلات ظهرت في التيارات الحديثة والمناهج الجديدة .

سادساً- جرد أهم كتب الأدب والنقد واللسانيات المترجمة وهي كتب ضمت كثيراً من المصطلحات التي تنفع في وضع "معجم النقد الحديث" وإن كانت بعضها يحتاج إلى إعادة النظر والتعديل أو التغيير .

سابعاً - الإطلاع على بعض موسوعات الأدب الأجنبي ونقده بلغاتها الأصلية .

ثامناً - الاستعانة ببعض المعاجم اللغوية الأجنبية لتحديد معنى الاصطلاح اللغوي. والوقوف على دلالته كما تصورها تلك المعاجم ، والصلة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ، وطريقة انتقال دلالته .

تاسعاً - الاتفاق على المصطلحات بعد دراستها دراسة مستوعبة ، لأن اختلاف المصطلحات الدالة على معان واحدة من هموم العاملين في حقل العلوم والآداب ، والفنون ، وقد وقع في ذلك القدماء . وتعددت المصطلحات الدالة على فن واحد . وهذا ما يحدث اليوم ، إذ تعددت المصطلحات بتعدد النقاد والباحثين والمترجمين وأختلاف البيئات الثقافية .

أي أن المصطلح ينبغي أن :

أ - يدرس دراسة واعية قبل إذاعته وإشاعته .

ب- لا يُوضع مصطلح لا تمس الحاجة إليه ، لأنه يحدث اضطراباً ويثير الاختلاف بين الباحثين والنقاد والأدباء .

ج- يكون لأعضاء المجامع العلمية واللغويين والمتمرسين في وضع المصطلحات من العلماء والأدباء والنقاد والفنانيين رأي ينبع من خبرتهم الطويلة ، ومعرفتهم بمفهوم المصطلح ، ومن أتقانهم للغة العربية لفظاً ومعنى وتذوقاً ، لأنهم الصفوة والقدوة .

عاشراً- تصنيف ما يجمع من التراث والأدب والنقد الجديد بحسب حروف اللفظة لتسهل مراجعة المصطلح ، وهذه الطريقة هي الأسلوب المتّبع في وضع معاجم المصطلحات .

حادي عشر- تعريف المصطلح تعريفاً لغوياً واصطلاحياً ، والوقوف على اختلاف المذاهب الأدبية في تحديده وذكره بلغة أجنبية واحدة أو أكثر لمعرفة المقابل الأجنبي والإستفادة منه في الترجمة والتأليف ،

ويبقى المصطلح العربي الأصيل أساساً في عرض المصطلحات ولاسيما ما أستقر منها وأصبح أكثر دلالة من غيره .

ثاني عشر- أن تراجع المصطلح لجنة علمية إستشارية وتطرحه للنقاش لإبداء الآراء قبل ضمه إلى المعجم .

وينبغي أن تكتب مواد المعجم بأسلوب واحد ومنهج واحد ، وأن تُراعى فيها الدقة العلمية . وفي حقيقة الأمر أن مثل هذا المعجم يحتاج إلى فريق عمل من اختصاصات مختلفة في اللغة والنقد والأدب فضلاً عن مؤازرة المجامع العلمية والاتحادات والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بهذا يمكن أن تنتهي إشكالية المصطلح النقدي ويسدل عنها ستار الأزمة .

صياغة المصطلح النقدي :

تمتاز اللغة العربية بقدرة كبيرة على صياغة المصطلح وتوليده ، بطرائق متعددة ، أهمها :

١ - الإشتقاق :

وهو خاصية مميزة في اللغة العربية وأحد أعمدة ثرائها ، ويُعد الوسيلة الرئيسية في وضع المصطلحات في اللغة العربية ، وتوجد ثلاثة أنواع من الاشتقاق هي الاشتقاق الصغير - الكبير - الأكبر .

ولذلك توصف اللغة العربية بأنها اشتقاقية أي تتغير معاني مفرداتها بتغير الأبنية. والاشتقاق في الاصطلاح "استخراج لفظ من لفظ وصيغة من أخرى"[٢٢]. أو هو : "نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنىً وتركيباً ومغايرتهما في الصيغة"[٢٣] للاشتقاق الأثر الفعال في اغناء اللغة العربية بالمفردات وهو عامل مهم من عوامل نموها وازدهارها وإبقائها مزدهرة متجددة تواكب العصر الحديث وتطوره .

والاشتقاق عند أبن جني (ت هـ) على ضربين : كبير وصغير ، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم "كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتتقرّاه فتجمع بين معانيه ، وأن اختلفت صيغة ومبانيه ، وذلك كتركيب (س ل م) فأنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرّفه نحو : سلم ، ويسلم ، وسالم ، وسلمان ، وسلمى، والسلامة ، والسليم : اللديغ ...." وأما الاشتقاق الأكبر : فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها عليه ، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدّ بلطفه الصنعة والتأويل إليه .. نحو (ك ل م) (ك م ل) (م ل ك) (ل م ك) ... وهذا أعوص مذهبا وأحزن مضطرباً"[٢٤] .

وحين بدأت الترجمة تزدهر وتنشط في عصرنا الحالي "كان التعويل على أساليب الاشتقاق في العربية ، يكوّن الحجر الأساس في ترجمة المصطلحات العلمية"[٢٥] .

والاشتقاق عند علماء الغرب علم نظري عملي يعنى بتاريخ الكلمة وتتبع حياتها عبر العصور المختلفة ، أما الاشتقاق عند العرب فهو علم تطبيقي لأنه توليد بعض الألفاظ من بعض والرجوع بها إلى اصل واحد"[٢٦] .

٣ - التعريب :

وهو نقل الكلمة مع عرفها الأجنبي . وهو أيضاً : نقل كلمة من لغة أجنبية إلى اللغة العربية محتفظة بجرسها وحروفها حيناً ومعرّبة بمعناها بلفظ عربي حيناً آخر[٢٧] .

واللفظ إذا نُقل من لغة أجنبية إلى اللغة العربية من دون تغيير فأنه يسمى دخيلاً ، وربما أراد العرب أبعاد هذه الألفاظ من العربية أو تمييزها مما هو عربي أو معرّب. ومن أمثلة ذلك المستعملة حديثاً: التلفون، والاوكسجين، والنتروجين... ومن النقد الحديث السيميولوجيا .

أما المعرّب فهو "الذي طوّعته العرب بألسنتها ، وغيّرت فيه بالزيادة والنقصان والإبدال في الأصوات ليجري بحسب أبنيتها ، ويوافق أصواتها حتى يبدو على صورة شبيهة بصورة الألفاظ العربية"[٢٨] مثل الفلسفة ، والبنج ... وغيرها . أو ما يسمى من المصطلحات النقدية بالسيميائية .

ولابد من توافر المعرفة العلمية في مجال تخصص النقد الأدبي واتقان اللغتين المنقول عنها والمنقول إليها لدى من يقوم بهذا العمل .

لقد استعمل العرب هذه الوسيلة قديماً في نقل المعارف في أوائل القرن الأول للهجرة ، عن اللغة اليونانية ، وكان العلوم آنذاك مستقرة والتراث اليوناني مدوناً أما العلوم الأوربية الحديثة فأنها تجري في تغير مستمر وتسير بسرعة كبيرة وقد ظهرت حركة التعريب مواكبة للنهضة اللغوية الحديثة ، ولاسيما فيما يتعلق بالمصطلحات العلمية ، وأول من تكلم عن ذلك أيام النهضة اللغوية الحديثة هو الأب أنستاس ماري الكرملي عام ١٩١١ فأصدر مجلة (لغة العرب) ذكر في جزئها الأول ما له علاقة بالتعريب[٢٩] .

أن تعريب المصطلحات النقدية الحديثة يجب أن يحاط بعناية خاصة ، وذلك عن طريق تداوله وأشاعته بين المشتغلين به ، وأشكالية التعريب قد تكون في توحيد استخدام تلك المصطلحات لمدلولاتها النقدية المعبّرة عنها وليست في إيجاد مصطلحات تعبر عما يستجد من مفاهيم نقدية فقط .

٣ - النحت :

وهو من أنواع الاشتقاق في اللغة ، وهو "أن يعمد إلى كلمتين أو جملة فتنتزع من مجموع كلماتها كلمة فذة تدل على ما كانت عليه الجملة نفسها"[٣٠] إذ يعمد المتكلم إلى نحت كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر بأحداث اختزال في عدد حروفها ، كقولنا (حوقل) من (لا حول ولا قوة إلا بالله) و (دمعز) من (أدام الله عزّك) و (سبحل) من (سبحان الله) . و (برمائي) من (البر والماء) و (بسملة) من (بسم الله الرحمن الرحيم) .

والنحت يختلف عن التركيب في أن الثاني يحتفظ بالكلمتين المركبتين كاملتين على حين أن النحت نوع من الاختصار .

"إن للنحت فوائد في تيسير الاختصار والتوليد للجديد من الكلمات .. وأن يكون النحت على وفق ما عرفته العربية في الماضي مع مراعاة أوزان الكلمة وحسن نسيجها الصوتي وموافقتها الذوق وحظوتها عند الناس بالاستساغة والقبول"(٣١) .

والتركيب والنحت من المسائل اللغوية الشائعة في العربية في سائر عصورها وقد أفادت منه كثيراً . والمتصدي كثيراً لموضوع الاصطلاح يلزمه معرفة العربية وصيغها واشتقاقها ليفيد منها في هذا الميدان(٣٢) .

أنّ هذه الوسائل المتقدمة تعدّ أهم وسائل تطور اللغة "فللغة العربية قابلية طبيعية لمجاراة الزمن وللتطور تطوراً معتمداً على طبيعتها في النحت والاشتقاق والتعريب"(٣٣) .

٤ - الترجمة :

وهي نقل المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية بمعناه "لا بلفظه فيتخير المترجم من الألفاظ العربية ما يقابل معنى المصطلح الأجنبي"(٣٤) وأحياناً تكون الحاجة ملحّة في التحوير والحذف والإضافة في اثناء الترجمة للتوفيق بين النص المترجم والسليقة العربية . وقد يشترك للمفهوم مصطلحات أحدهما بلفظة الأجنبي – وهو ما مرّ في المعرب باسم الدخيل – وآخرهما مترجم وقد يبقيان في الاستعمال مترادفان . مثل مصطلحات : (تلغراف وبرقية) (تلفون وهاتف) .

والترجمة قد تكون حرفية أو ترجمة المعنى أو الجمع بينهما ولا سيما في ترجمة المصطلحات ، لذلك فالمترجم يواجه صعوبة في ترجمة المصطلح على مستوى الاشتقاق اللغوي أو على مستوى الضبط الدلالي ، تتطلب منه بذل جهود مضنية لإيجاد المقابل المناسب للمصطلح الغربي بعيداً عن أي لبس أو اضطراب"(٣٥) .

٥ - القيـــاس :

وهو "استنباط مجهول من معلوم"[٣٦] ويعد وسيلة من وسائل نماء اللغـة وإيجاد المصطلحات حين يصير ابتكاراً لألفاظ جديدة بـدلالات جديـدة لـم تكـن موجودة في اللغة ، شرط أن لا تخرج عن قواعد اللغة ، أي لابـدّ مـن وجـود مناسبة بين هذه الألفاظ وقواعد اللغة .

وقد قسم المعنيون باللغة من اللغويين والنحاة الظـواهر اللغويـة علـى أربعة أقسام[٣٧] :

١ - المطّرد في القياس والاستعمال .

٢ - المطرد في الاستعمال الشاذ في القياس .

٣ - المطرد في القياس ، الشاذ في الاستعمال .

٤ - الشاذ في القياس والاستعمال .. وهو ما أجمع اللغويون على رفضه .

وفي العصر الحديث أهتم المعنيون باللغة بالقيـاس ولاسـيما المجـامع العلمية وذلك لدعم الترجمة والنشر والتأليف ومواكبة العصر .

٦ - المجـــاز :

تستخدمه اللغة في عملية النحو المصطلحي ، وهو في الاصـطلاح "كـل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بـين الثـاني والأول فهي مجاز ، وأن شئت قلت : كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعاً لملاحظة بين ما تجوز إليـه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز"[٣٨] .

ويرى أبن جني (ت هـ)[٣٩] أن المجاز "يقـع ويعـدل إليـه عـن الحقيقة لمعان ثلاث وهي : الاتساع ، والتوكيد ، والتشبيه" ويراه ضد الحقيقة ، فيقول : "الحقيقة : ما أُقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة ، والمجاز ما كان ضد ذلك" وهو يرى أن "أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقـة"[٤٠] . ولـذلك

نرى أن أكثر استعمال اللغة في المجاز ، وهو ذو أهمية كبيرة في الاتساع في اللغة ، يقول أبن قيم الجوزية (ت هـ) : "فأن المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله ميلهم إلى الاتساع في الكلام ، وكثرة معاني الألفاظ"[٤١] .

ويفيد واضعوا المصطلحات من المجاز في إطلاق ألفاظ قديمة على مفاهيم جديدة بحيث تكتسب اللفظة دلالة جديدة بدلاً من دلالتها القديمة غير المستعملة . ولذلك نجد كلمات عربية قديمة أندثرت تستخدم الآن بمفاهيم حديثة كإطلاق لفظة (القاطرة) مثلاً على الآلة التي تسحب عربات القطار في السكك الحديد ، إذ كانت قديماً تطلق على الناقة التي تتقدم القافلة .

هذه أهم الوسائل التي تتوسل بها اللغة العربية في إيجاد مصطلحات جديدة هي إن دلت على شيء فأنما تدل على قدرة هذه اللغة على مواكبة العصور وما يستجد فيها من مظاهر الحياة الجديدة ولإغناء الثروة اللفظية حين تدعو إليها الحاجة .

أشكالية المنهج في دراسة المصطلح :

تتجسد أشكالية المنهج في دراسة المصطلح النقدي في تلك النظرة الشائعة بوصفه أسلوباً أو وسيلة تضبطها خطة وقواعد تغير سبيل السائر في البحث عن الحقيقة وتساعده على الوصول إلى نتائج معينة . في حين كان ينبغي النظر إليه من زاويتين[٤٢] . الزاوية الأولى عامة ، تقتضي التعامل معه على أنه "منظومة متكاملة تبدأ بالوعي والرؤيا المشكلين لروح المنهج وكنهه غير المرئي ، وتنتهي بالعناصر اللازمة لتحقيق تلك الرؤيا وذلك الوعي من خلال الكشف والفحص والدرس والتحليل والبرهنة للإثبات أو النفي"[٤٣] .

والزاوية الأخرى خاصة تقتضي التعامل معه على أساس أنه "وحدة لغوية لها دلالة لغوية أصيلة ، ثم أصبحت هذه الوحدة أو العبارة تحمل دلالة اصطلاحية خاصة ومحددة في مجال أو ميدان معين ، لعلاقة ما تربط بين الدلالة اللغوية الأصلية والدلالة الإصطلاحية الجديدة"[٤٤] . ولاشك أن طبيعة المنهج الذي يتبناه

كل باحث يتصدى لدراسة المصطلح تشكل قدراً كبيراً من المشكلات التي تعترض دقة المصطلح واستقراره وشيوعه ، فالمناهج التي اتبعها الباحثون العرب في الدراسة تمضي في ثلاثة إتجاهات : الاتجاه التاريخي والاتجاه الوصفي والاتجاه الوصفي – التاريخي .

١ – المنهج التاريخي : يهدف هذا المنهج إلى تتبع التطورات التي عرفتها دلالة بعض المصطلحات ، ولعل أبرز من يمثل هذا الاتجاه في دراسة المصطلح أحمد مطلوب في كتابه (معجم المصطلحات البلاغية وتطورها)[٤٥] فقد حدد أحمد مطلوب في مقدمة كتابه ملامح منهجه (المنهج التاريخي) فهو يعرض للدارسين شكل معرفي جديد عن البلاغيين ويشير إلى مدى تأثير السابقين في اللاحقين حيث يقدم الفن البلاغي من خلال العصور المختلفة، ويرصد التطور التاريخي . والحقيقة أن المنهج التاريخي لكي تكون نتائجه دقيقة فإن عليه أن يستوفي شروط الدراسة العلمية من حيث الاستيعاب التام للمادة باستخدام آلية الإحصاء لتتبع حركة المصطلح وأماكن وجوده قبل تركيب الصورة الشكلية لتاريخ كل مصطلح .

٢ – المنهج الوصفي : يسعى هذا المنهج إلى تعرف الواقع الدلالي للمصطلحات. ويأتي كتاب ميشال عاصي (مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ)[٤٦] في مقدمة من يمثلون هذا الإتجاه ، فهو لم يهتد فيه إلى منهج واضح يطمأن به إلى نتيجة لأنه أعتمد العثور بدل الإحصاء وألغى الدراسة اللغوية فعدّ ما ليس بمصطلح مصطلحاً ، ولم يدرس المفاهيم دراسة مصطلحية تجعلها محددة المعاني والخصائص .

٣ – المنهج الوصفي – التاريخي : ربما يعطينا كتاب ادريس الناقوري (المصطلح النقدي في نقد الشعر) صورة واضحة لهذا المنهج المزدوج ،

فقد اعتمد الناقوري مجموعة خطوات تحدد معالم منهجه في دراسة المصطلح .

١ - قراءة نص الكتاب (نقد الشعر) مرات متعددة لغرض الوقوف على أهم الاصطلاحات واستيعاب دلالاتها المختلفة .

٢ - القيام بعملية جرد عامة تشمل المفردات النقدية والبلاغية ، دون أخذ معيار القوة الاصطلاحية بعين الاهتمام بادئ الأمر .

٣ - تحديد الإصطلاحات النقدية والبلاغية المزمع دراستها واختيارها بناءً على مقاييس موضوعية وعلمية[٤٧] .

ولعل من الواضح أن ازدواجية المنهج التي بدت في دراسة الناقوري تنطوي على حقيقتين مهمتين هما : أن أحادية المنهج لابد أن تكتنفها عثرات تقوّض ثبات بنيتها . وإن إعادة فحص أي منهج بعينه من أجل تحسينه يؤدي بالضرورة إلى التكاملية بأتباعه منهجاً مزدوجاً في دراسة المصطلح ، لم يخرج عن الإطار العام لكلا المنهجين السابقين .

الهوامـــش :

١. ينظر : مصطلحات النقد لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين : د. شـــاهد البوشيخي : المقدمة .
٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها : ٢٩٤/١ .
٣. البيان والتبيين : ١٣٩/١ .
٤. مقدمة في علم المصطلح : ١٠٧-١١٢ .
٥. معجم النقد العربي القديم : ١٣/١-١٥ .
٦. مقدمة في علم المصطلح : ١٧-١٨ .
٧. المعجم الأدبي : ٢٥٢ .
٨. المصطلح النقدي : ٢٩٤-٢٩٥ .
٩. رسالة ماجستير تقدم بها الباحث إلى كلية الآداب بجامعة بغداد ١٩٧٤ .
١٠. رسالة ماجستير تقدم بها الباحث إلى كلية الآداب بجامعة بغداد ١٩٩٤ .
١١. رسالة ماجستير تقدم بها الباحث إلـــى كليـــة الآداب بجامعـــة الموصـــل ١٩٩٦.
١٢. رسالة ماجستير تقدمت بها الباحثة إلى كليـــة التربيـــة بجامعـــة بغـــداد ١٩٩٦.
١٣. رسالة ماجستير تقدم بها الباحث إلى كلية التربية للبنات بجامعـــة بغـــداد ١٩٩٧ .
١٤. رسالة ماجستير تقدم بها الباحث إلى كلية الآداب بجامعة بغداد ١٩٩٧ .
١٥. رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث إلى كلية الآداب بجامعة الموصل ١٩٩٩.
١٦. رسالة ماجستير تقدمت بها الباحثة إلى كلية التربية للبنات بجامعة بغداد ٢٠٠٠ .
١٧. كدراسة حسن ناظم عبد الموسومة بـــ "مفاهيم الشعرية" رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب في جامعة بغداد ١٩٩١ .